

موسيقى



هنا  
كليب  
«كارمن»

الشهر الماضي، طرح المغني البلجيكي المعروف كليب أغنيته «كارمن» الذي تعاون فيه مع سيلفان شوميه. أحد أبرز رواد سينما التحريك المستقلة

## ستروماي: الحب ابتلعه طائر أزرق

وقد قال مزة عن بطل رواية «الأم فتر» لغوته «انتهيت من إعادة قراءة فتر مع بعض السخط، كنت قد نسيت أنه يأخذ وقتاً طويلاً كي يموت».

«أشعر بالبرد، فلنعد» يتراجع من يرى نفسه فجأة عالماً في الفخ، مُجنداً في وضع مستحيل وهزلي، في حين يفقد من يسقط في هوة الافتراض حسه بالقيمة وبالكاذ يرتعب من الجذام غير المرئي الذي ينخر مساحات كاملة من شخصيته، وهذا عائد لما يصفه كليمان روسي بـ «الإحساس بالوجود السطحي بالنسبة للواقع، الإحساس بأن العالم أو الأنا غير موجودين بشكل فعلي، أو أنهما لا ينتميان إلى النمط من الوجود نفسه». لذلك، أوردت الصين وسيلة للعلاج من هذا «التنويم» بالانخراط في معسكرات تدريب قاسية، حيث يقوم جنود سابقون بمراقبة المدمنين من خلال عملية إعادة تاهيل بخضعون خلالها لفحوص نفسية وتدريبات بدنية مكثفة لفترات قد تصل إلى ستة أشهر، لكن أي علاج لمرض الحب؟ «عندما يصبح الدواء داءً، ما الذي يعود يُشفي»؟

«أحبك» بمجرد أن تقال تصبح حبيبة إلى حين، لا يؤمن العاشق بالتأويل، يعتبر كل كلمة علامة على الحقيقة، لا شيء متروك للإيهام أو التنجيم، مقابل ذلك، العاشق «الرقمي» لا يحصل إلا على أجوبة غامضة وعائمة. بطول الغياب ويلزمه تحمله، فيتلاعب به مُنتجاً اللغة التي تبدأ مهمتها الطويلة كشيء مضطرب ودون جدوى، ثرثرة ومراوغة وتمزغ في الوجل من أجل حفنة هواء قادمة. «أريد رؤيتك فقط/ عند غروب الشمس/ بكل بساطة/ أريد أن أراك عندما تغرب الشمس/ لا شيء أكثر من ذلك» غنت كاسندرا ويلسون الانتظار الذي يولد الشكوك والتوبيخ والرغبات. وفي لحظة مجهولة تفتح أبواب النجاة أمام العاشق، فينهض مثل نائمة الغابة المسحورة ويرغب في الضحك والبكاء في آن، لأن ألمه «يرافقه خلصة شيء آخر يقترّب من النكتة، لكنه ليس نكتة، شيء يخير الهلوسة، يشبه قليلاً إيماء منديل الساحر بعد أداء خدعة».

### في سوق الاستهلاك

يقف ستروماي على حدة بين مُعاصريه، خلقت موسيقاه مساراً جديداً أطلق عليه تسمية «البوب الأخلاقي» وضمّ ألبومه الأخير «جنر تربيعي» (2013) أغنيات تمثل اللواقع وتتفحص قسوته مثل Pa-paoutai (عن نكزي رجيل والده خلال الإبادة الجماعية التي ارتكبت في حرب رواندا الأهلية) و Tous Les Mêmes (كلهم متشابهون) و formidable التي شهدت نجاحاً كاسحاً. أما أغنية «كارمن»، فقد تشارك تأليفها مع مغني الراب الفرنسي أوريلسان وانطلق الكليب على موقع «بازفيد» الشهر الماضي من إخراج الفرنسي سيلفان شوميه الذي يعدّ من أبرز رواد سينما التحريك المستقلة، حصد فيلمه Illusionniste «الساحر» (2010) جائزة «سيزار» عن أفضل فيلم رسوم متحركة.

يُحيط شوميه بمراحل تشكّل العزلة تحت وهم الانتماء إلى الافتراض. يفتتح الأنيماشن بطائر تويتر الأزرق مزقراً على نافذة ستروماي الطفل. لكن الرقزقة البريئة سرعان ما تتحوّل إلى نداء لجوج وصارم يسلبه من حياته ويرج به في عالم هزيل ومجازي. ومع تضخم عدد متابعيه على تويتر وإنستغرام، يكبر حجم الطائر الذي يعتاش على لحظاته الحميمة ويطالبه بالمزيد من الرعاية التي تشبه الالتزام، ما يثير سخط حبيبه فتتخلّى عنه. تتكرر لازمة «هكذا نحب وهكذا نستهلك» مؤكدة عزلة دامغة لا فكك منها. نرى بطل الحكاية ينطوي على نفسه في صمت عميق، وحيداً في السينما وفي حفلة عيد ميلاده، يلتقط صور «السيلفي» التي يبدو فيها كشبح مُشوّه، كُحّاكاة ساخرة لنفسه. يترك لنا شوميه الفظاعة الكبرى إلى النهاية، حيث يصل مستخدمو تويتر ومن بينهم شخصيات من مشاهير عالم الفن والسياسة إلى طائر أزرق عملاق يبتلعهم تبعاً كما يبتلع كرونوس أطفاله.

اليوم كان دون المستوى في لانوفيل ستار» ويدوي التصفيق، 145 ألف متابع على شبكات التواصل الاجتماعي يهللون بأنني رائع! العجرفة والرضى عن الذات دفعاني إلى الإدمان». بيرنجوم تكيف مثلنا مع عالم لاهت لا تتجاوز العبارات المكتوبة فيه الـ 140 حرفاً على تويتر، لكنه لم يستطع تدارك انهياره الداخلي حين شرع في قراءة «البحث عن الزمن المفقود» لمارسيل بروست. «كتب بروست نصه على مهل شديد، نص طويل ولا ينتهي، لم أحتمل ذلك، انهرت مع بروست، بين ذراعي بروست». وربما انهار أندريه جيد هو الآخر بعد قراءة 4300 صفحة،

ومنتديات الحوار ويبدى رأيه في كل المواضيع: السباغيتي، رقصة الفالس، السيارات، نتائج سباق الخيول، حجم مضارب الكريكيت... قبل أن ينزلق نحو الانهيار العصبي بسبب الإفراط وتوتر الذاكرة. يقول: «بلغت تلك النقطة التي أشعر فيها أنني قدّمت أطروحة دكتوراه من 800 صفحة، حين أكتب «غناء شارلوت

أكثر من نافذة «تشات» مفتوحة في وقت واحد، عبر الزجاج المشوّه الذي يفصل بيننا، نتبادل تعبيرات الوجه الهزلية وعبارات الحرمان المجنونة والكلمات غير المسؤولة ككتلة من السكر المغزول.

تقول لعنة صينية: «فلتعش في الأزمنة الهامة!» إذ يدرك الصينيون أن الأزمنة الهامة هي فترات اضطراب وارتباك. ونحن نحيا اليوم زمناً هاماً بُني من أخطاء المصادفات ونزاعات الهوية وشهوة اللعب. نحن شهود عيان على عصر جديد، بحقيقة جديدة، تشكّل ونمّا: هو عصر الافتراضي مقابل أفول مفع للواقع. في هذا السياق، استخدم المفكر الفرنسي جان بودريار في كتابه «النسخ الشبيهة والمحاكاة» حكمة توراتية منسوبة إلى الملك سليمان تقول: «إن النسخة الشبيهة لا تخفي الحقيقي البتة، بل إن الحقيقي هو الذي يخفي واقع عدم وجود شيء حقيقي. إن النسخة الشبيهة هي حقيقية». ويعتبر بودريار من أوائل من لمحو تأثيرات الوجود الافتراضي، فشرح مفهومه عن «الواقع الفائق» Hyper Reality، الذي يصف العيش الحاضر المتمازج بين الافتراضي والحقيقي. لكن لنسلم بوجود ازدواجية أليمة حولت «العلاقات الاجتماعية» في مواقع التواصل إلى جحيم اغتراب مطلق وإلى عزلة استهلاك سلبي وعنيف لحيوات الآخرين.

كان كل منا مُحاطاً بهالة مميزة، بهوية مُحدّدة لا تُنتهك. ومع دخولنا الشبكة، ذابت تلك الفروق المميزة وأصبحنا جميعاً متشابهين بشكل أو بآخر، وطبعاً أبعد ما نكون عن أنفسنا. ننقمص «البروفيل» كنموذج إنساني موحد يجبرنا على العيش في كنفه وتحت إمرته مُنقّولين وفقاً لتوقعات «الأصدقاء».

هذا الخسران للفردانية، نتلمسه في كتاب «افتقدتكم، حكاية اكتئاب فرنسية» للصحافي ومحلل السوشيال ميديا في إذاعة e-1 rope، غي بيرنجوم الذي صدر أخيراً عن دار Les Arènes. بيرنجوم لم يكن يرى العالم إلا من خلال شاشة الكمبيوتر، يرسل ويستقبل ويتفاعل ويعقب ويستفسر ويعلق في المدونات وقضاءات الدردشة

### باريس - أحلام الطاهر

«قل إنك تحبني، قلها مرة ثانية». يعرف الحب نظام التكرار، الإصرار على الكلمة، الإعلان الجديد دائماً. لا يقتصر على «غليان القلب وثوراته عند لقاء المحبوب» كما أورد ابن حزم في كتابه «طوق الحمامة» بل يتطلب الاستئناس والرعاية. إنه بناء وحياء تُصنع. غير أننا بقينا كل مفردة في زمن تويتر ومواقع التعارف الإلكترونية، مُطالبين بالاكتمال بالأعطيات الرقمية التي تسحقنا، نرعى الحب بطريقة الأطفال الكسالى، مُنقّصاً ومختزلاً بالسمايلي والهاشتاج.

«خذ حذرك إن أحببتك» تقول الأغنية الشهيرة «هابانيرا» (أو «الحب عصفور عوصي») في أوبرا كارمن التي ألف موسيقاها الفرنسي جورج بيزيه، وشغلت الكثير من الفنانين بتقديمها على خشبة المسارح وشاشات السينما برؤى مختلفة. تنغى أبيات العمل بالحب، مشبهة إياه بالطائر الجامح الذي لا ينصاع للقبول والأعراف وواجبات العائلة. في نسخته الخاصة من «هابانيرا» التي أطلق عليها عنوان «كارمن»، يوجّه المغني البلجيكي ستروماي (1985) مرة عاكسة لظاهرة الحب «الرقمي» الذي انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث يلتقي العشاق ويتعدون - كما في إخراج مسرحي مثالي عن الحب المأساوي- مُرهقين، مُبلي الرموش، مُفتعلين الحداد مُضاعفاً عبارات مُستعارة من «المياه كلها بلون الغرق» أو من أوبرا إيطالية شائعة: Addio mia bella addio.

«الحب مثل عصفور تويتر نغم به لمدة 48 ساعة فقط»، نشعر بالفشل والعار حين يدلنا صاحب اليوم «تشييز» (2010) على بؤرة المرض الذي استحوذ علينا بشكل كامل حتى نتنا عاجزين عن تحديد فداحته. تتدفق الكلمات باتجاهنا كإهانة طويلة، رقصة على قفا المشاعر التي يشبهها بـ «عملية العرض والطلب». الحب الذي كان «طفلاً عجيباً» قبل 140 عاماً في «كارمن» بيزيه، أصبح «طفل العالم الاستهلاكي الجشع الذي لا يشبع» بعدما اكتسبنا موهبة القلب، تنمايل ونتاجم مع